السلطان مراد الخامس

فترة الحكم: ١٨٧٦

السلطان العثماني الثالث والثلاثون

اسم الأب: عبد المجيد

اسم الأم: شَوقْ أَفْزا قادن أفندي

محل وتاريخ الميلاد: إسطنبول،
٢٢ سبتمبر/أيلول عام ١٨٤٠

العمر عند اعتلاء العرش: ٣٦ عاما

سبب وتاريخ الوفاة: مرض السكري،
٢٩ أغسطس/آب عام ١٩٠٤

مكان الوفاة وموقع القبر: إسطنبول،
ودفن في مقبرة تحمل اسمه في مسجد يَني
(المسجد الجديد) بإسطنبول

أبناؤه: سليمان أفندي، وسيف الدين أفندي،
ومحمد صلاح الدين أفندي

بناته: خديجة سلطان، وفهيمة سلطان، وفاطمة سلطان،
وعَلِيَة سلطان

لوحة زيتية للسلطان مراد الخامس.

بيانو السلطان مراد الخامس.

تلقى السلطان مراد الخامس، الذي كان اسمه عند ولادته محمد مراد، وهو أمير تربية ورعاية فائقة من والده. لكنه كان السلطان الذي حكم أقصر فترة في التاريخ العثماني. ولأنه كان ينظر إليه باعتباره السلطان القادم فقد تلقى مراد الخامس تعليما متميزا وشغل مواقع قيادية في المحافلالدولة. كما صحب مراد الخامس عمه في رحلاته إلى مصر وأوروبا، وظل على اتصال بمن كانوا يعرفون باسم "العثمانيون الجدد"، وهي جماعة من المثقفين الذين تأثروا بالمفكرين الغربيين والثورة الأوروبية، وكانوا يدافعون عن فكرة السلطنة الدستورية باعتبارها الشكل المثالي للحكم. والتقى مراد الخامس مع شِينَاسِي ونَامِقْ كمال، وضِيَاء باشا، وحصل على دعمهم المؤكد. وفي أحد المواقف تجمع شباب العثمانيين، بعد مغادرة مسرح كانوا يشاهدون به مسرحية نامق كمال "الوطن"، أمام منزل نامق كمال احتجاجا، ورفعوا شعارات استخدموا فيها التورية من قبيل "ما هو مرادك؟" (للإشارة إلى اسم الأمير مراد، وكلمة "مراد"، أي "رغبة"). وأخرى تقول "ما هو مرادك؟" عسى الله أن يعطيك مرادك؟ في إشارة إلى مناصرتهم لمراد الخامس.

خلال عهد السلطان عبد العزيز أدت الأحداث العنيفة التي وقعت في سلانيك، والتي راح ضحيتها اثنان من السفراء هناك، إلى إعطاء الأوروبيين الدافع للتدخل في الشؤون العثمانية الداخلية. وبالإضافة إلى هذا أطاح خصوم السلطان عبد العزيز به، وأحلوا مراد الخامس محله. وعلى خلاف سابقيه لم يُحتفل باعتلاء مراد الخامس العرش في احتفال تتويج، أو بموكب لتقليده سيفه في مسجد السلطان أيوب.

وبدلا من ذلك تم على عجل إحضار السلطان مراد الخامس تحت المطر إلى بوابة مكتب القائد العام (البوابة الرئيسية لجامعة إسطنبول اليوم)، حيث بايعه هناك كبار رجال الدولة باعتباره السلطان الجديد. وتكرر نفس احتفال البيعة في قصر دولما باغجه.

وفي هذا الوقت نشأ صراع مرير فيما بين هؤلاء الذين أتوا بمراد الخامس إلى العرش، وخصوصا أن الأفكار التحررية لدى مدحت باشا لم تجذب اهتمام الآخرين.

ومن جانبه أمر القائد العام حسين عوني باشا، الذي ساعد السلطان مراد الخامس على اعتلاء العرش، بأنه سوف يختار بشكل حذر من يرون السلطان بشكل شخصي.
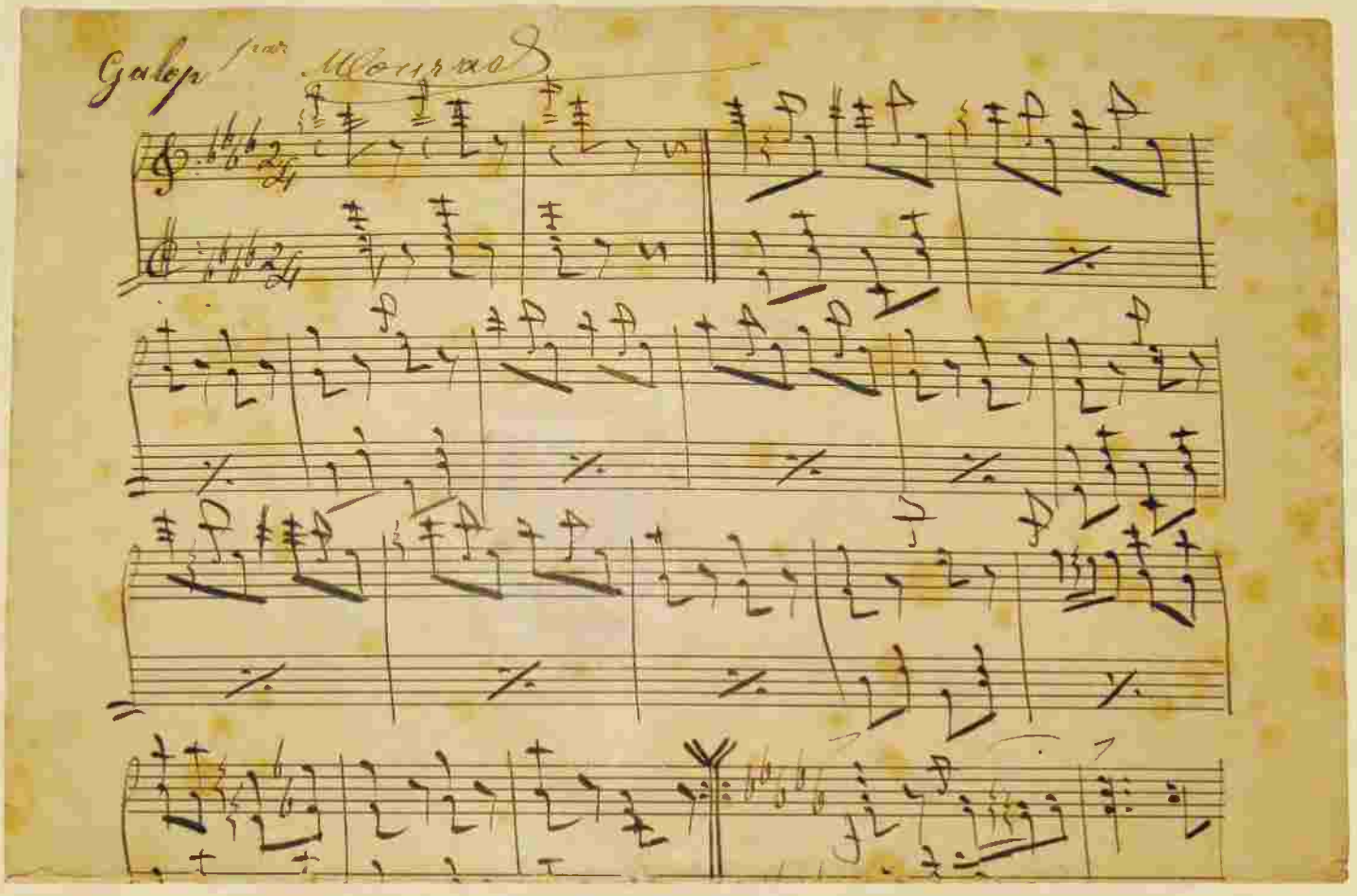
قطعة موسيقية أصلية من تأليف السلطان مراد الخامس.

وخلال تناوله إفطاره في اليوم الخامس من توليه منصب السلطنة تلقى السلطان مراد الخامس الأنباء بالعثور على السلطان السابق عبد العزيز قتيلا في غرفته بقصرِ "فرعية"، فأغشي على السلطان وهو مصدوم. وبعد أحد عشر يوما قام الرائد شركس حسن بيك، شقيق زوجة السلطان السابق عبد العزيز، باقتحام اجتماع لمجلس الوزراء، وقتل حسين عوني باشا، الذي كان يشتبه في قيامه بقتل السلطان عبد العزيز.

وتركت هذه الأحداث أثرها الحزين والعميق في السلطان مراد الخامس الذي كان مريضا أصلا. وعندما زاره أشقاؤه كشف لهم عن سوء حالته الصحية، وشكا لهم من شعوره بآلام صداع عنيفة بدأ يعاني منها مؤخرا.

وأظهرت الطريقة التي تصرف بها السلطان مراد الخامس في أول صلاة جمعة له أنه قد فقد وعيه. ورغم أن السلطان كان قد نُقل إلى قصر يلدز بإسطنبول بناء على نصيحة الأطباء، فإنه ألقى بنفسه في إحدى المرات في حوض السباحة في لحظة جنون. وسريعا أصبح من الواضح أنه فقد قدرته العقلية. وبعد ذلك

توقف السلطان عن حضور صلاة الجمعة، كما توقف عن الالتقاء بأي شخص.

ورغم أن الحكومة أرادت التغطية على الحقيقة فإن الحديث انتشر بين الناس بأن السلطان قد جُنّ، كما انتقد الشعبُ الصدرَ الأعظم رشدي باشا لمحاولته حكم الدولة العثمانية في غياب سلطان.

في يوم عودته من أحد المراسم حطم السلطان زجاج نافذة في القصر، وحاول قتل نفسه. وجاء الأطباء وقاموا بفحصه، واتفقوا جميعا على أن فرصة تعافيه ضئيلة للغاية؛ فذهب مدحت باشا إلى عبد الحميد الثاني، الوريث الفعلي للسلطان، وأبلغه أنهم سوف يعلنونه سلطانا جديدا بشرط قيامه بإعلان الدستور الجديد، الذي يسمى "القانون الأساسي"، والذي صاغه أعضاء في جماعة "العثمانيون الجدد"، وخصوصا مدحت باشا.

وفي أعقاب الأمر الديني التنفيذي الصادر عن قاضي القضاة في ٣٠ أغسطس/آب ١٨٧٦، أمر البرلمان بخلع السلطان مراد الخامس، وتعيين عبد الحميد الثاني محله. وبهذا انتهت فترة خلافة السلطان مراد الخامس بعد ثلاثة وتسعين يوما.

وخلال عهد السلطان عبد الحميد الثاني نُقل مراد الخامس وأسرته إلى قصر جيراغان، حيث خضع للعلاج هناك.

وبسبب الدعاية المتواصلة التي قام بها المحفل الماسوني وعدد من الجماعات المعارضة والتي زعمت أن السلطان السابق كان بصحة جيدة، وأنه عانى من الظلم والفساد قام السلطان عبد الحميد الثاني بعرض شقيقه مراد الخامس على لجنة طبية تضم أطباء أتراكا وأجانب. وأكدت اللجنة أن السلطان السابق مازال يعاني من خلل عقلي، وأن علاجه ليس ممكنا.

وتجرأت الجماعات المعارِضة ومن بينهم الماسونيون على القيام باختطاف السلطان السابق ثلاث مرات، وكانوا في كل مرة يُقبض عليهم ويتعرضون للعقاب. وكانت هذه المحاولات تمثل إزعاجا أكبر لمراد الخامس وأسرته. فاضطر أن يعيش حياة السجين خلال السنوات

السلطان مراد الخامس (تصوير عبد الله برادَرْلَرْ).

بطاقة بريدية تصور منظر قصر دولمة باغجة من البسفور

الثماني والعشرين الباقية من حياته، حيث كان يتعين إبقاؤه تحت مراقبة مشددة لحمايته من الخاطفين.

كان السلطان مراد الخامس، السلطان الذي أمضى أقصر وقت على العرش العثماني، مهتما للغاية بالرسم والنجارة وفن العمارة، كما كان مؤلفا موسيقيا عبقريا؛ حيث كتب أكثر من ٥٥٠ قطعة موسيقية على النمط الأوروبي. ومازال البيانو الذي كان يستخدمه خلال تأليفه لهذه المقطوعات موجودا حتى يومنا هذا. وكانت شخصيته وصورته مختلفة عن أشقائه من ناحية تشجيعه لنمط الحياة الأوروبي منذ كان أميرا. وأصبح مراد الخامس عضوا في المحفل الماسوني لاعتقاده أن سياسة الدولة يمكن أن تستفيد من الماسونية، ولكن يبدو أن مراد الخامس كان يعتبر المحفل الماسوني ناديا رياضيا من دون أن يعلم حقيقة هذه الجمعية السرية.

المدخل السلطاني لقصر دولمة باغجة